الاتّساق النّصّي في سورة المزمِّل

م.م دعاء عودة حريجة
كلية التربية/ جامعة القاسم الخضراء
م.م أحمد عبد الجاسم نزال
كلية التربية/ جامعة القاسم الخضراء

Textual Cohesion in Surah Al-Muzzammil

Asst. Lect. Duaa Awda Harija
College of Education/Al-Qasim Green University
Asst. Lect. Ahmed Abdul-Jasim Nazal
College of Education/Al-Qasim Green University

https://doi.org/10.64704/dawat.2026124804

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الاتّساق النّصي في القرآن الكريم عبر دراسة واحدة وهي سورة المزّمل، وقد اعتمد البحث على مقدّمات نظريّة تبيّن مفهومَي النّص والاتّساق بوصفهما عماد مفهوم الاتّساق النّصّي، ثمّ قدّم البحث دراسة تطبيّقيّة لأهم أدوات الرّبط الاتّساقي في سورة المزمّل معتمداً في ذلك المنهج الوصفي التّحليلي. وقد انتهى البحث إلى جملة من النّتائج من أبرزها حضور الإحالة والحذف والاستبدال والوصل بوصفها من أهم تجلّيات الاتّساق النّصّي في سورة المزّمل، وقد جسّدت هذه الآليّات الانتظام النّصي الذي تقوم عليه السّورة، وذلك عبر روابطها العميقة والمتلاحمة والمنتظمة؛ فبدت السّورة وكأنّها خطاب جرى دفعة واحدة على الرّغم من المدّة الزّمنيّة التي نزلت فيها آياتها، وهذا يمثّل جزءاً من إعجاز النّص القرآني الذي حافظ على وحدته النّصيّة والدّلاليّة على الرّغم من تباعد الأوقات التي نزل فيها النّص الكلّي للسّورة.

الكلمات المفتاحيّة: الاتّساق، النّص، سورة المزمل، الإحالة، الحذف، الاستبدال.

Abstract

This research examines textual cohesion in the Holy Quran through a single study, namely Surah Al-Muzzammil. The research is based on theoretical premises that clarify the concepts of text and cohesion as the foundation of the concept of textual cohesion. The research then presents an applied study of the most important cohesive linking devices in Surah Al-Muzzammil, employing a descriptive-analytical approach. The research concluded with a number of findings, most notably the presence of reference, ellipsis, substitution, and conjunction as key manifestations of textual cohesion in Surah Al-Muzzammil. These mechanisms embody the textual regularity upon which the surah is based, through their deep, cohesive, and regular connections. The surah thus appears as a single discourse delivered all at once, despite the timeframe in which its verses were revealed. This represents a part of the miraculous nature of the Quranic text, which has maintained its textual and semantic unity despite the vast periods in which the entire surah was revealed.

Keywords: Cohesion, Text, Surah Al-Muzzammil, Reference, Ellipsis, Substitution.

تمهيد

تعدّ دراسة اتّساق النّصوص وتماسك مكوّناتها من أبرز الدّراسات اللغويّة التي تحلّل المعطيات النّصيّة كاشفة عن آليّات ترابطها التي جعلت منها نصّاً، وقد تناول القدماء والمحدثون هذه الفكرة وبحثوا فيها وقدّموا كثيراً من الدّراسات والأبحاث التي بيّنت مجموعة العناصر التي يعتمدها النّص.

وقد شكّل النّص القرآني محوراً للدّراسات اللغويّة التي بحثت في أسباب إعجازه وبلاغته، فقد رأى العلماء فيه ما لا مثيل له، "وبَهرهم أنَّهم تأمَّلوه سورةً سورةً، وعُشْراً عُشْراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة يُنكر شأنها، أو يُرَى أنّ غيرها أصلحُ هناك أو أشْبه، أو أحرى وأخلَق، بل وجدوا اتّساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً" (الجرجاني، صفحة ٣٩). فرأوا في اتّساق جمله وتراكيبه ومعانيه سبباً من أسباب إعجازه.

وبناء على هذه الفكرة فإنّ هذا البحث يسعى إلى دراسة الاتّساق النّصي في القرآن الكريم عبر دراسة سورة المزمل، محاولين من ذلك بيان خصوصيّة الأسلوب القرآني وآليّة توظيف الرّوابط الاتّساقيّة في تكوين بناه وآياته، وذلك من دراسة الإحالة والحذف والتّكرار بوصفها راوبط تحقّق انتظام النّص وتؤدّي دوراً مهمّاً في بيان معانيه ودلالاته.

الإشكاليّة:

ينطلق البحث من سؤال رئيس مفاده: كيف تجلّى الاتساق النّصّي في سورة المزمّل؟

ويتفرّع منه جملة من الأسئلة، منها:

. ما مفهوم الاتّساق النّصي؟

. ما هي أهم آليّات الاتساق النّصي في سورة المزمل؟

. ما المقصود بكل من الإحالة والحذف والاستبدال والوصل؟

. ما الوظيفة التّرابطيّة النّصيّة التي حقّقتها آليات الاتّساق النّصي في سورة المزمّل؟

الأهميّة:

تنبع أهميّة البحث من جدّته؛ إذ لم نعثر على دراسة سابقة تبحث الاتّساق النّصي في سورة المزمل، وهذا البحث يصبّ في خدمة القرآن الكريم أولاً،

واللغة العربيّة ثانياً، وقد اختيرت سورة المزمل للكشف عن الإعجاز اللغوي الذي يلفّها والذي ظهر من آليّات الاتّساق الواردة فيها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الغايات، منها:

. خدمة النّص القرآني عن طريق التّعمق في دراسة لغة سورة من سوره.

. بيان مفهوم الاتّساق النّصي في السورة.

. دراسة تجلّيات الاتّساق النّصي في سورة المزمل عن طريق دراسة الإحالة والحذف والاستبدال والوصل فيها.

. بيان الإعجاز اللغوي القائم على الرّبط الاتّساقي في سورة المزمّل.

منهج البحث:

نهج هذا البحث المنهج الوصفي التّحليلي الذي يقوم على رصد الظّاهرة المدروسة المتمثّلة بأدوات الرّبط الاتساقي في سورة المزمل، وهي الإحالة والحذف والاستبدال والوصل، وتتبّع حضورها وتقديم نماذج لها وتحليلها تحليلاً لغويّاً يبيّن جماليّاتها وأبعادها الدّلاليّة والإعجازيّة.

المبحث الأول: حول مفاهيم البحث

يتكوّن هذا البحث من مجموعة من المفردات البحثيّة يمكن تفكيكها وبيان المقصود بها في المطلبَين الآتيين:

المطلب الأوّل: مفهوم الاتّساق النّصّي:

إنّ الاتساق النصي يتعلّق بانتظام ارتباط العناصر المكوّنة للنّص، فـ "مفهوم الاتّساق يعني ترابط الجمل في النّص بعضها بعضاً بآليات لغويّة معيّنة، و هذا التّرابط يهتم بالرّوابط التي تجري في سطح النّص أكثر من اهتمامه بالشّكل الدّلالي أو المعنوي للنَّص". (السعيد، ٢٠١٢م، صفحة ١٠٠).

وبذلك فإنّ "تحقّق الاتّساق في النّص مرهون بانتظام مفرداته لتكوِّن جُمله، ثمّ بترابط جُمله لتكوّن فِقرة، ثمّ بتعالق فِقره لتكوّن نصّاً كالجسد الواحد، إذا اشتكت منه جملة أو فقرة اختل لها نظام سائر النّص بالغموض والاضطراب، وكلّما تعالقت أجزاء النّص، وافتقرت أبعاضه إلى أبعاض أخر كان النّسج أحكم والتّماسك أشدّ وأمتن". (المنجد، ٢٠٢١م، صفحة ١٩٥)

المطلب الثّاني: التعريف بسورة المزمل

وسورة المزمِّل "مكيّة (إلّا الآيات ١٠ و١١ و١٢ فمدنيّة) وآياتها ١٩ وقيل ٢٠، نزلت بعد القلم". (الزمخشري، ١٩٩٨م، صفحة ٢٣٧)

و "إنّ الكثير من آيات هذه السّورة تشير إلى أنّها نزلت عند بدء الرّسول صلّى الله عليه و سلّم لدعوته العلنيّة، و اعتراض المخالفين و تكذيبهم له، و لكن الرّسول (ص) كان قد أمر بالمسالمة و المداراة لهم، و لذا يبعد احتمال نزولها جميعاً في أوّل دعوته (ص)، و يمكن احتمال ذلك في شأن الآيات الأولى لها، و أمّا البقيّة فليست كذلك، لأنّ آياتها تشير إلى سعة الإسلام و الدّعوة، و ذلك على نطاق مكّة على الأقل، و بروز مخالفة المخالفين و صراعهم مع الحقّ، و هذا ما لم يحصل في السّنوات الثّلاث الأولى للدّعوة". (الشيرازي، ٢٠١٣م، صفحة ٤٢٢)

فالجوّ العام للسّورة يتحدّث عن بداية الدّعوة الإسلاميّة ولحظات الوحي الأولى، ولعلّ ذلك يتطلّب لهجة خطابيّة تختلف عن تلك التي أُنزلت على الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهذا ما جعلها تعتمد آليّات ترابطيّة متعددة على الرّغم من قصر طولها بوجه عام، ويمكن دراسة الاتّساق النّصّي فيها في المبحث الآتي:

المبحث الثّاني: الرّوابط الاتّساقيّة في سورة المزّمِّل

تتعدّد الرّوابط الاتّساقيّة في النّصوص القرآنيّة بوجه عام وفي سورة المزمِّل بوجه خاص، ولعل من أبرزها: الإحالة، والحذف، والتّكرار، ويمكن تقديم مقدّمة نظريّة حول كلّ آليّة وتحليل نماذج لها من سورة المزمِّل على وفق ما يأتي:

المطلب الأوّل: الإحالة والاستبدال:

تعدّ الإحالة "من أهم الرّوابط التي تسهّل على المبدع أو القارئ إدراك التّماسك الدّاخلي للنّصوص اللغويّة التي يكتمل من خلالها العمل اللغوي، ويقوّي تأثيره على الفئة المستهدفة". (غراب، ٢٠١٨م، صفحة المقدمة)

الإحالة هي "العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات ". (دي بو جراند،١٩٩٨م،١٧٢).

ومن ثمّ فإنّ "دراسة العلاقات الإحاليّة في النّص تثير البنية فيها... وإنّ كلّ إحالة تقوم على نمطين من التّرابط المعنوي:

- أوّلهما ينسجم مع الرّبط القائم على التّركيب.
- والآخر إضافي وهو الرّبط الإحالي، الذي يعقد قواعد الاتّصال بين الأجزاء المتباعدة في النّص، إذ تتشكّل مجموعة من العلاقات الإحاليّة بين العناصر المتباعدة في عوالم النّص، فتلتقي في كل جزء من تلك الأجزاء عناصره المتناغمة". (بحيري، ٢٠٠٥م، صفحة ٩٨)

و المعنى الاصطلاحي الأبرز للإحالة يدلّ على "الانتقال من عنصر كنائي إلى مرجع يفسّره، ذلك أنّ الكنائيّات كالضّمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة مبهمة من حيث دلالتها المعجميّة ولا يمكن التّواصل بها إلّا إذا عرف مرجعها من داخل النّص أو خارجه...". (بوزغارية، ٢٠١٨م، صفحة ٧٤)

فـ "الإحالة تعرَف في الانجليزيّة بـ (Refernce) ربّما تُرجِم هذا المصطلح بـ (الإشارة)، ولا ضير في ذلك من النّاحية اللغويّة المحضة، بيدَ أنّه قد يسبِّب مشكلة منهجيّة، لالتباسه بما يعرف في العربيّة بأسماء الإشارة التي هي أداة من أدوات الإحالة، ومن هنا يمكن القول إنّ العلاقة بين الإحالة والإشارة علاقة عام بخاص، إذ كلّ إشارة إحالة، وليست كلُّ إحالة إشارة". (حسين، ٢٠٢١م، صفحة ١١٢)

ويعرّفها آخرون:

هي "العلاقات بين العبارات، والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات ذات الطّابع البدائلي في نصٍّ ما". (بوكراند، ١٩٩٨م، صفحة ١٢٢)

كما عرّفها بعضهم:

"إنّ العلاقة القائمة بين الأسماء والمسمّيات هي علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلى المسمّيات". (عفيفي، ٢٠٠٨م، صفحة ١١٦)

وهي "فعل تداولي تعاوني بين متكلّم ومخاطب في بنية تواصليّة معيَّنة". (المتوكل، ٢٠٠١م، صفحة ١٣٧) أي إنّها تتصل بالمقام واللغة العمليّة التّواصليّة.

وقد تُعرّف الإحالة انطلاقاً من وظيفتها،

فهي "وسيلة لترابط النّص، هدفها الإيجاز والانفكاك من التّكرار غير المفيد وتحيل الأسماء إلى مسمَّياتها وفق علاقة دلاليّة تطابقيّة بين خصائص المحيل والمحال إليه ومن العناصر التي تملك خاصّيّة الإحالة: الضّمائر، وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة". (خطابي، ٢٠١٣م، صفحة ٦١٧)

وتتمثّل آليّة عملها في أنْ "يشير الكاتب أو المتكلّم إلى أنّ فعلاً ما، أو شيئاً ما ارتبط بشيء آخر، سابق، أو سيذكر لاحقاً، لكن لا يذكره المؤلّف، أو المتلقّي في هذا الموضع، بل يكنّي عنه بعنصر مبهم الدّلالة مثل الضّمير، أو اسم الإشارة، أو الموصول، من دون ذكره صراحةً". (حسين، ٢٠٢١م، صفحة ١١٣)

• أنواع الإحالة:

يمكن "تقسيم الإحالة على مستويين رئيسين:

المستوى الأوّل: هو خارجي يقوم على وجود ذات المخاطب خارج النّص وتتوفّر فيه إحالة على خارج اللغة.

المستوى الثّاني: هو داخلي يختصّ بالنّص المدروس، وعناصر الإشارة تحيل إلى عناصر موجودة داخل النّص، والإحالة هنا تكون لغويّة تنقسم إلى قبليّة وبعديّة". (رحال، ٢٠١٩م، صفحة ١٣)

فالإحالة بصورتها الرّئيسة لها نوعان، هما: (الزناد، ١٩٩٣م، صفحة ١١٨)

١. الإحالة المقاميّة:

أي الإحالة التي ترتبط بالموقف والواقع الخارجي للنّص، فهي "إحالة إلى خارج النّص لعنصر من عناصر العالم". (حسان، ٢٠٠٧م، صفحة ٣٦٦)

و "هذا النّوع من أنواع الإحالة يقوم على العلم بالسّياق الحالي، والوقائع التي يخلو منها النّص، فلا يمكن معرفة المحال إليه بسهولة بل يجب النّظر في كلّ الظّروف الخارجيّة المحيطة به". (رحال، ٢٠١٩م، صفحة ١٧)

و قد وردت هذه الإحالة في سورة المزمّل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾.[١]

إذ إنّ "هذا الوصف حصل من رسول الله صلّى الله عليه و سلّم حين أكرمه الله برسالته، و ابتدأه بإنزال وحيه بإرسال جبريل إليه، فرأى أمراً لم يرَ مثله، و لا يقدر على الثّبات له إلّا المرسلون،

فاعتراه في ابتداء ذلك انزعاج، حين رأى جبريل عليه السّلام، فأتى إلى أهله، فقال: (زمّلوني زمّلوني)، و هو ترعد فرائصه. ثمّ جاءه جبريل، فقال: (اقرأ)، فقال: (ما أنا بقارئ)، فغطه حتّى بلغ منه الجهد، و هو يعالجه على القراءة، فقرأ صلّى الله عليه و سلّم ثمّ ألقى الله عليه الثّبات و تابع عليه الوحي". (السّعدي، ٢٠٠٢م، صفحة ١٠٥٣)

أي إنّ وصف الرّسول صلّى الله عليه وآله و سلّم بهذا الوصف (المزمل) يحيل إلى المقام الذي وقع فيه الوحي، فكان النّبي صلّى الله عليه وآله و سلّم مُتزمِّلاً عندما نزلت عليه هذه الآية، فكانت الآية تتضمّن إحالة إلى المقام الذي وقعت فيه، و من ثمّ إنّ فهمها يتعلّق بنزولها و الحادثة التي أوردناها حول نزولها.

٢. الإحالة النّصيّة: (الدّاخليّة)

هي الإحالة التي تنبثق من النّص وتعود إلى النّص ؛ ولذا فلها "دور فعّال في خلق ترابط كثير من جزئيات النّص، وتهتم بالعلاقات الإحاليّة التي تتحقّق داخل النّص، سواء أكانت بالرّجوع إلى ما سبق أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي... ومعنى ذلك أنّ كلًّا من المحال إليه والعنصر المحيل موجودان داخل النّص، وما على القارئ إلّا البحث على الشّيء المحال عليه داخله". (رحال، ٢٠١٩م، الصفحات ١٣-١٤)

ويمكن تعريفها على أنّها "إحالة على المكوّنات اللغويّة المستعملة في الملفوظ قبله كانت أو بعده". (الزناد، ١٩٩٣م، صفحة ١١٨)

فهذه التّعريفات تشي بانقسام هذا النّوع من الإحالة على نمطين؛ هما:

_ الإحالة القبليّة:

تعرّف الإحالة القبليّة على أنّها "استعمال عنصر لغوي يشار إليه بكلمة أو عبارة سابقة في النّص، بحيث يذكر العنصر الإشاري بصورة مضمرة تحيل عليه، الذي كان يجب أن يظهر حيث يرد المضمر ويشترط وجود اتّفاق وتطابق بين العنصرين في الخصائص الدّلاليّة". (إكيدر، ٢٠١٨م، صفحة ١٦٧)

فهي "الإشارة اللاحقة، أي استعمال شكل بديل لاحق لتعبير يشاركه في المدلول" (أبوغزالة، ١٩٩٣م، صفحة ٩٢)، "فالإحالة القبليّة تعنى باستعمال

الضّمائر أو إحدى الأدوات المساعدة بعد التّعبير عن المشار إليه سابقاً، باعتبارها عائدة على مفسّر سبق التّلفّظ به". (غراب، ٢٠١٨م، صفحة ٥٤)

و إذا عدنا إلى سورة المزمّل، فإنّنا نرى حضور هذه الإحالة بشكل لافت عبر الضّمائر، والضّمير "اسم جامد يقوم مقام ما يكنّى به من اسم ظاهر للمتكلّم أو المخاطب أو للغائب، أي ينوب عن الظّاهر، وهو اسم يشبه الحرف وغير متصرّف والغرض من الإتيان بالضّمير هو الاختصار وتجنّب التّكرار". (قلّاتي، ٢٠٠٦م، صفحة ١٢٤)

فالضّمائر مكوّنات إحاليّة مبهمة، ينبغي العودة ـ في هذا النّص ـ إلى ما قبلها من أجل فهم المعنى، و السّورة التي بين أيدينا ترتبط آياتها بضمائر مستترة تعود بمجملها على المخاطب (المزمّل) في بداية السّورة، ففي قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾.(٢)

فالضّمير المستتر (أنت) في الأفعال الطّلبية التي جاءت بصيغة الأمر (قم / انقص / زد / رتّل) جميعها تحيل إلى مذكور قبلها (المزمّل)، فقد ربط القرآن الكريم بين هذه الآيات جميعها عبر هذه الضّمائر، و من جانب آخر فإنّ وحدة النّص دلاليّاً متأتّيّة من هذا الرّبط الاتّساقي.

و كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾(٣).

فإنّ الضّمير الكاف في (لك) و (ربك)، و الضّمير المستتر (أنت) في (اذكر / تبتّل) جميعها تعود إلى مذكور سابق هو نفسه (المزمل)، فالسّورة بمجملها خطاب إلهي إلى النّبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله و سلّم)، غايتها تقويته و معاضدته و تثبيته على الدّعوة الإسلاميّة و عدم التّراجع عنها بسبب ما يفعله المعاندون و الكفّار. و قد عززت هذه الرّوابط الإحاليّة (الضّمائر الظّاهرة و المستترة) اتّساق النّص و انسجام وحداته اللغويّة و المعنويّة.

ـ الإحالة البعديّة:

تتمثّل الإحالة البعديّة في أنّها

"ترجع إلى مكوّن إشاري تمّ ذكره بعدها في النّص لاحقاً عليها". (عفيفي، ٢٠٠٨م، صفحة ١١٧)

أي يذكر اللفظ المحيل ثمّ يُذكر المحال إليه، أي إنّها تعمل بعكس آليّة الإحالة القبليّة، فإذا كانت القبليّة تعني الرّجوع إلى الوراء، فإنّ هذه الإحالة تسمّى (الإحالة إلى الأمام). (ويول، صفحة ٢٣٠)

فهي "إحالة اللاحق الذي لم يتم ذكره بعد، ولذا فإنّها تعدّ مثيرة لذهن المتلقّي، إذ تتضمّن لفظاً كنائيّاً لم يسبق وجود مفسّره، والمفترض أن يبقى المتلقّي يقظاً باحثاً عن مرجع الضّمير". (عفيفي، صفحة ٤٢)

وعادة "ما تظهر هذه الإحالة في النّص السّردي بغرض التّشويق لمعرفة البطل الذي تذكر أوصافه قبل الإفصاح، أو بغرض التّحقير والتّجاهل". (غراب، ٢٠١٨م، صفحة ٥٨)

فالإحالة البعديّة تعني "استعمال لفظة أو جملة تدلّ على كلمة أخرى أو عبارة أخرى تستعمل لاحقاً في النّص أو المحادثة. ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[٤] ؛ فالضّمير يحيل إلى لفظ الجلالة الله". (موسى، ٢٠١٠م، صفحة ٨٢)

ومن ثمّ فإنّها "عناصر لغويّة تشير إلى معلومات تالية في داخل سياق القول، ليست لها الوظيفة الفرعيّة التي تتصف بها الرّوابط الإحاليّة ؛ إذ لا تنوب عن لفظ سابق، وترمز إلى دلالة سيميائيّة بمفردها". (عبدالكريم، ٢٠٠٩م، صفحة ٣٥١)

وأمّا آليّة عملها فتقوم على "مبدأ تقدّم العنصر الإحالي على مفسّره، وتأخّر العنصر الإشاري عن العنصر الإحالي. إذ نجد الإحالة البعديّة تقوم على إيضاح شيء لا نعلمه أو مشكوك فيه، وتجلب انتباه القارئ فيظلّ يبحث عن مرجع الضّمير ويلجأ إلى قراءة النّص عدّة مرّات ليبحث عن العناصر المحقّقة للاتّساق والتّرابط النّصّي". (رحال، ٢٠١٩م، صفحة ١٥)

و قد وردت هذه الإحالة في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾[٥].

فقد ذكر القرآن الكريم الرّابط

الإحالي المتمثّل بالضّمير المتّصل (واو الجماعة) في (يقولون) و (هم) في (اهجرهم) قبل ذكر المحال إليه الذي تحدد في الآية التي بعدها (المكذّبين)، فالله عزّ وجلّ يدعو نبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله و سلّم إلى الصّبر على أقوال المعاندين و الكفّار الذين أخذوا بمحاربة الدّين الجديد، و قد أفادت الإحالة البعديّة نوعاً من لفت انتباه القارئ و شدّه لمعرفة المقصود في ذلك، ليتحدد المعنى من المُحال إليه في كلمة (المكذبين) التي جاءت بعدها.

و في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[٦]

يمكن تحديد الرّبط الإحالي من إحالة الفعل (استغفروا) الذي ذكر أولاً إلى (غفور) الذي ذكر بعده، و ذلك عبر رابط الإحالة البعديّة القائمة على تكرار لفظة (الله) عزّ و جلّ.

وقد لاحظ الباحثون في علم النّص أنّ الإحالة البعديّة أقل استعمالاً من الإحالة القبليّة (عفيفي، صفحة ٤٢)، ولعلّ ذلك عائد إلى الطّبيعة الوظيفيّة للإحالة والمتمثّلة في كشف إبهام بعض الألفاظ، وهذا يحتاج إلى تقديم المقصود ومن ثمّ الإحالة عليه.

الاستبدال:

الاستبدال: "عملية نصية داخلية تعتمد على تعويض عنصر بآخر". (حمداوي،٢٠١٥م، ص٧٣).

ومعظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم". (عفيفي،٢٠٠١م، ص١٢٢).

وعلى ذلك فإن الاستبدال عنصر من عناصر الاتساق. (مليكة يعيش ونعيمة بن علية، ٢٠٢٠م، ص٤٤٨).

وللاستبدال ثلاثة أنواع: (عفيفي،، ص١٢٣،١٢٤).

الأول: هو الاستبدال ببعض الكلمات مثل (آخر، آخرون، نفس)، أما القسم الثاني فهو الاستبدال الفعلي عن طريق ألفاظ مثل (يفعل، الفعل، فعل)، والثالث: هو الاستبدال القولي مثل استعمال (ذلك، لا).

الاستبدال القولي: ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا﴾[٧].

الاستبدال الاسمي: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في

الأرض﴾[٨]. ﴿يبتغون فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾[٩].

المطلب الثّاني: الحذف والوصل:

يعدّ الحذف من الظّواهر الأسلوبيّة على المستوى التّركيبي، وهي ذات أبعاد جماليّة ودلاليّة، أي إنّ أي نقص أو غياب لعنصر ما عن أصل الوضع يعد حذفاً، على أن يتم الإسقاط لغاية من الغايات البلاغيّة مع حضور دليل يشير إلى ما تمّ حذفه، وللحذف أنماط متنوّعة في بلاغة التّأليف تتعلّق بحذف بعض من اللفظ أو ما يقوم مقام بعضه مثل أدوات النداء و الضّمير المتّصل، وحذف جزء من الجملة كحذف المسند أو حذف المسند إليه، أو حذفهما، أو حذف شيء من متعلّقات الفعل أو ما يعمل عمله، وحذف جملة كاملة.

الحذف من وسائل التماسك في النص ولا يتم " إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنياً في الدلالة، كافياً في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره ".(عفيفي، ص١٢٣، ١٢٤).

وقد التفت البلاغيّون إلى هذه الظّاهرة وتحدثوا عن جماليّاتها، فقالوا:

"باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيه بالسّحر، فإنَّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذكر والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن".

ومثل ذلك قولهم:

"وإنّما صار الكلام في مثل هذا أبلغ من الذّكر ؛ لأنّ النَّفسَ تذهبُ فيهِ كلّ مذهب، ولو ذكر الجوابُ لقصر على الوجه الذي تضمّنه البيان". (الباقلاني، ١٧٠٧م، صفحة ٢٦٢)

فهم يؤكّدون بلاغة القول عندما يعتريه حذف، غير أنّ الحذف كما يظهر تعريفه لا يتم خبط عشواء، بل لا بدّ من التزامه بشروط بعينها، فللحذف شروط عديدة، "أهمّها:

١. وجود دليل أو قرينة تدلّ على المحذوف.

٢. ألَّا يكون المحذوف مؤكّداً.

٣. ألَّا يكون عاملاً ضعيفاً، فلا يحذف

الجار والمجرور، ولا يحذف ناصب الفعل إلّا في حالة كثرة الاستعمال، ومع قوة الدّلالة عليه.

٤. ألّا يكون عوضاً عن شيء.

٥. ألّا يؤدّي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل، وقطعه عنه، ولا إعمال العامل الضّعيف مع إمكان إعمال العامل القوي". (ابن هشام، صفحة ١٥٦)

وتشير البنية ذات الحذف إلى مستويين من الدلالة، "أحدهما ذو طبيعة لغويّة تركيبيّة، والثّاني ذو طبيعة قصديّة، أي معنويّة، فعلى مستوى التّركيب يتم تحليل استعانة المبدع بالحذف على أنّه نمط من التّفاعل مع طريقة مخالفة للمعتاد، يسعى بها إلى تنمية الفراغ الشّعوري الذي لا يفصح عنه السّياق، وإنّما تطلب حضوره القراءة. وأمّا على مستوى القصد فإنّ غايته من ذلك التّضليل الذي يقود إليه الشّكل". (فيدوح، ٢٠٠٩م، صفحة ١٨٧)

و قد ورد الحذف بوصفه رابطاً اتّساقيّاً غير مرّة في سورة المزمّل، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.(١٠)

ففي قوله تعالى: (أقومُ قيلا) يمكن تقدير مبتدأ محذوف: و هي أقومُ قيلا. و قد أفاد الحذف هنا زيادة الارتباط و توحيد الدّلالة بين المتعاطفين، فالجملتان عائدتان إلى (ناشئة الليل).

و في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾(١١)

نلاحظ حذف المفعول به في لفظة (اتّخذ) و التّقدير: اتّخذها، غير أنّ النّص القرآني عدل عن الرّبط بالإحالة القبليّة عبر الضّمير (ها) إلى الرّبط بالحذف، فهو بذلك يقوّي المعنى، مبيّناً أنّ الآليات التي توصل العبد إلى ربّه كثيرة، و هذه التّذكرة واحدة منها؛ فأفاد الحذف هنا اتّساع الدّلالة و تقويتها.

و في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾(١٢).

يمكن تقدير شبه جملة محذوفة متعلّقة بالفعل (كفرتم)، و التّقدير: إن كفرتم بالله أو بالرّسول أو بالدّعوة الإسلاميّة، فجاء الحذف هنا اختصاراً و تنويهاً بأنّ الكفر بأي ركن من أركان الإسلام أو بما جاء به الرّسول أو بالله عزّ وجلّ، كلّ ذلك سبب لعذاب يوم القيامة

الذي يجعل الأطفال شيباً من هوله.

الوصل:

يقصد بالوصل " الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم ومنسق، ويكون على مستوى المتواليات والجمل، حيث تتماسك وتترابط عضوياً ومنطقياً ولغوياً وتركيبياً". (حمداوي،٢٠١٥م، ص٧٣).

ومن أشهر أدوات الربط أو الوصل حروف العطف وهي " الواو، الفاء، ثم، أو، لكن، بل، لا ".(حمداوي، ص٦٣).

وللوصل وظيفة في جعل الجمل متماسكة ومترابطة في النص، ويقسم الوصل على إضافي وعكسي وزمني وسببي. (حمداوي، ص٧٣).

أو:﴿نصفه أو انقص منه قليلا﴾[١٣] .

﴿أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾[١٤].

الواو: ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾[١٥] .

﴿واذكر ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾[١٦] .

﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا﴾[١٧] .

﴿فاقرؤوا ما يتسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾[١٨] .

الفاء: ﴿فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا﴾[١٩] .

﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم﴾[٢٠].

خاتمة:

هكذا نرى من كلّ ما تقدّم أنّ الاتّساق النّصي مظهر بارز من مظاهر الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، و قد جرى ذلك عن طريق تحليل صور حضور آلياته في سورة المزمّل، و قد انتهى البحث إلى جملة من النّتائج، من أبرزها:

- يتكون مفهوم الاتساق النّصي من جزأين رئيسين؛ هما النّص الذي يشكّل وحدة متكاملة، و الاتّساق الذي يعني الانتظام، واتّحادهما يكون مفهوم الانتظام على مستوى النّص الذي يتحقق من روابط اتّساقيّة عدّة، أبرزها: الإحالة، و الحذف، و التّكرار.

- تنوّعت آليات الاتّساق النّصي في سورة المزمل وكان من أبرزها الإحالة والحذف.

- تتنوّع أنماط الإحالة ومن أبرزها على مستوى النّص الإحالة القبليّة والإحالة البعديّة، و قد حضرتا في سورة المزمل،

مع غلبة حضور الإحالة القبليّة على نظيرتها، و هذا ينسجم مع طبيعة الكلام العربي الذي يغلب عليه هذا النّمط.

- ورد الحذف بوصفه آلية ترابط اتّساقي غير مرّة في سورة المزمل، و كان من أبرز وظائفه الاختصار و تكثيف المعنى و اتّساع الدّلالة و تقويتها.

- جاء التّكرار بوصفه عنصر اتّساق نصّي يظهر أثره في المستويين الصّوتي و الدّلالي؛ إذ إنّه يحقق السّبك المعجمي للنّص و الانسجام الصّوتي والدّلالي.

الهوامش:

١- سورة المزمِّل، الآية: ١.

٢- سورة المزمّل، الآيات: ٢ _ ٣ _ ٤.

٣- سورة المزّمِّل، الآيتان: ٧ _ ٨.

٤- سورة الإخلاص، ١.

٥- سورة المزّمِّل، الآيتان: ١٠ _ ١١.

٦- سورة المزمّل، من الآية ٢٠.

٧- المزمل١٩.

٨- المزمل٢٠

٩- المزمل٢٠.

١٠- سورة المزمِّل، الآية ٦.

١١- سورة المزمّل، الآية ١٩.

١٢- سورة المزمّل، الآية ١٧.

١٣- المزمل٣.

١٤- المزمل٤.

١٥- المزمل٦.

١٦- المزمل٨.

١٧- المزمل١٠.

١٨- المزمل٢٠.

١٩- المزمل١٦.

٢٠- المزمل٢٠.

المصادر والمراجع:

١- ابن الأثير، المثل السّائر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرّفاعي، الرّياض، ١٩٨٣م، ق٣.

٢- إكيدر، عبد الرّحمن، التّعليق عند عبد القاهر الجرجاني دراسة في التّماسك النّصّي، دار كنوز، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٨م.

٣- الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد الصّقر، دار المعارف، مصر، ١١١٩هـ.

٤- بحيري، سعيد، دراسات لغوية تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة، مكتب الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م.

٥- بلحوت، شريفة، الإحالة: دراسة نظريّة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠٠٦م.

٦- بوزغارية، رزيق، ورقات في لسانيّات النّص، دار المثقّف، الجزائر، ط١، ٢٠١٨م.

٧- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدّة، د. ت.

٨- جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، الألوكة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م،

٩- حسّان، تمّام، اجتهادات لغويّة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

١٠- حسين، أحمد، الإحالة وأثرها في التّماسك النّصّي، مجلّة تسليم، مج ٩، ع١٧ + ١٨، ٢٠٢١م.

١١- خطّابي، محمّد، لسانيّات النّص وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة العلميّة، عمّان، ط١، ٢٠١٣م.

١٢- دي بوكراند، روبرت، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسّان، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٨م.

١٣- بن ذريل، عنان، النّص والأسلوبيّة بين النّظريّة والتّطبيق، دراسة منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٠ م.

١٤- رحّال، مروة، الإحالة ودورها في تماسك النّص الشّعري، رسالة ماجستير، جامعة محمّد خيضر بسكرة، ٢٠١٩م.

١٥- الزّمخشري، الكشّاف، تحقيق وتعليق ودراسة: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشّيخ عليّ محمد عوض، مكتبة العبيكة، ط ١، ١٩٩٨ م، ج ٦.

١٦- الزّناد، الأزهر، نسيج النّص، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط١، ١٩٩٣م.

١٧- السّبيحي، محمد خطابي، مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، منشورات اختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٨ م.

١٨- السّجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق: علال الغازي،

مكتبة المعارف، الرباط، ط١، ١٩٨٠م.
١٩- السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرّحمن اللويحق، دار السّلام، السّعوديّة، ط ٢، ٢٠٠٢.
٢٠- السّعيد، حمودي، الانسجام والاتّساق النّصّي المفهوم والأشكال، مجلّة الأثر، ٢٠١٢م.
٢١- شاهين، عبد الخالق، أصول المعايير النّصّيّة في التّراث النّقدي والبلاغي عند العرب، جامعة الكوفة، ٢٠١٢م.
٢٢- الشّيرازي، ناصر مكارم، الأمثل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٣ م، ج ١٤.
٢٣- عبد العظيم، محمّد، في ماهيّة النّص الشّعري (إطلالة أسلوبيّة من نافذة التّراث النّقدي)، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
٢٤- عبد الكريم، جمعان، إشكالات النّص المداخلة، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط١، ٢٠٠٩م.
٢٥- عبد المجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٨م.
٢٦- عفيفي، أحمد، الإحالة في نحو النّص، كلّيّة دار العلوم، القاهرة، د.ت.
٢٧- عفيفي، أحمد، نحو النّص اتجاه جديد في الدّرس النّحوي، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٨- عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٢٩- غراب، فيروز، الإحالة في الأعمال الشّعريّة لوديع سعادة (نماذج مختارة)، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، ٢٠١٨م.
٣٠- أبو غزالة، إلهام، وعلي أحمد، مدخل إلى علم لغة النّص، دار الكتاب، نابلس، ط١، ١٩٩٣م.
٣١- فيدوح، عبد القادر، إراءة التّأويل ومدارج معنى الشّعر، دار صفحات للدّراسات والنّشر، دمشق ــ سوريا، ط١، ٢٠٠٩.
٣٢- قطب، سيد في ظلال القرآن، دار الشّروق، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٣ م، مج ٦.
٣٣- قلّاتي، إبراهيم، قصّة الإعراب، دار الهدى، الجزائر، ٢٠٠٦م.
٣٤- لكرد، د. عبد الفتاح، مكوّنات البنية الإيقاعيَّة في القصيدة العربيّة القديمة، حوليّات الآداب والعلوم الاجتماعيّة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الحوليّة٢٨، ٢٠٠٨.
٣٥- المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة، دار الأمان، الرّباط، ط١، ٢٠٠١م.
٣٦- الملائكة، نازك، قضايا الشّعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٤م.

٣٧- مليكة يعيش ونعيمة بن علية، مظاهر الاتساق النصي في التراث العربي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد التاسع، العدد الثالث، ٢٠٢٠م

٣٨- المنجد، محمد نور الدّين محمّد عيد، الإحالة بالضّمائر في سورة الحاقّة: دراسة إحصائيّة نصّيّة، مجلّة الدّراسات اللغويّة، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة، مج ٢٤، ع ١، ٢٠٢١م.

٣٩- موسى، داليا، الإحالة في شعر أدونيس، دار التّكوين، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٠م.

٤٠- ويول، براون، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزّليطي، جامعة الملك سعود، السّعوديّة، د.ت.

٤١- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤ م، ج ١٠.

٤٢- ابن هشام، مغني اللبيب، دار إحياء الكتب العربيّة، ج٢.